

حمام العثماني بمدينة حمص

دراسة أثرية معمارية

د. منصور عبد الرازق*

ملخص:

تستهدف هذه الورقة البحثية دراسة أحد الحمامات الباقية بمدينة حمص من الفترة العثمانية. وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تعد الأولى من نوعها لدراسة الحمام من الناحية المعمارية والآثرية. وتعد هذه الدراسة دراسة توثيقية كاملة لوحدة الحمام وعناصره المعمارية التي لا زالت باقية بحالة جيدة. وقد تعرضت الدراسة لتأريخ الحمام طبقا لما ورد على النقش التأسيسي المثبت أعلى مدخله، وتضمنت أيضا وصفا شاملا لكافة وحدات الحمام بما تحويه من عناصر معمارية مختلفة. كما تعرضت الدراسة أيضا إلى المصادر المختلفة التي كانت تمد الحمام بالمياه، هذا بالإضافة إلى دراسة أساليب التسخين التي كانت متبعة في تسخين الوحدات الداخلية للحمام. وقد سلطت هذه الدراسة الضوء على تأثير الحمام بأحداث الثورة السورية وقذفه عدة مرات، مما أدى إلى تعرض الكثير من وحداته إلى التصدع والانهيال، وحثت على ضرورة الحفاظ عليه وترميمه. هذا وتحتوي هذه الدراسة على عدد من الأشكال التوضيحية واللوحات الفوتوغرافية التي صورت جميعها من جانب الباحث حين زيارته للمدينة في صيف ٢٠١٠م، مع العلم أن جميع الأشكال التوضيحية واللوحات الفوتوغرافية التي وردت بالدراسة تنشر لأول مرة في هذا البحث.

الكلمات الدالة:

حمام- حمص- نقش تأسيسي- عثماني- دورقاعة- براني- وسطاني- جواني

تعد مدينة حمص ثالث المدن السورية في الأهمية بعد دمشق وحلب، حيث أن موقعها الاستراتيجي جعل منها مركز الصدارة بالنسبة لسوريا بشكل عام نتيجة لوقوعها على مفترق الطرق التجارية الضخمة التي تمتد بين تدمر شرقا حتى البحر المتوسط غربا، كما كانت هذه المدينة مرآحا للقوافل التجارية الآتية من الشمال أو الجنوب^(١)، وقد أشارت المصادر التاريخية أن تسمية المدينة^(٢) بهذا الاسم جاءت نسبة إلى حمص بن المهزب بن جان بن مكنف، وقيل بن مكنف العمليقي^(٣).

ولهذه المدينة جذور ضاربة في أعماق التاريخ، حيث سطع نجمها منذ أن حكمها اليونانيون وتحولت إليها الطرق التجارية منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك بعد كسوف مملكة قادش وأفول نجمها، كما نعمت هذه المدينة برعاية خاصة في ظل الحكم الروماني لها، وكانت من المراكز العسكرية الهامة في تلك الأثناء^(٤)، وظلت على أهميتها إلى أن فتحها المسلمون بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد في سنة ١٥هـ/٦٣٦م وذلك في زمن الخليفة عمر بن الخطاب^(٥).

وفي ظل الحكم الإسلامي كانت حمص واحدة من أهم المدن الشامية، وذلك منذ الفتح الإسلامي لها ومرورا بالخلافة الأموية التي جعلتها في مقدمة المدن السورية لأنها كانت مقصدا للخلفاء والكثير من أمرائهم، وفي زمن العباسيين تراجعت أهميتها عما كانت عليه زمن الأمويين لبعدها عن مركز الخلافة، إلا أنها حافظت على مكانتها بالنسبة لسائر المدن السورية^(٦)، وظلت لهذه المدينة مكانتها في زمن كلا من الفاطميين والأيوبيين وكذلك المماليك الذين أعادوا لبلاد الشام هيبتها بعدما لحق بها من دمار وتخريب على يد التتار، ومع نهاية الدولة المملوكية حكمت حمص كغيرها من بلاد الشام من قبل الدولة العثمانية منذ عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وكانت في تلك الفترة أحد الألوية التابعة لطرابلس^(٧).

* ألقى هذا البحث بالمؤتمر الدولي الخامس "العرب والتürk عبر العصور"، الذي عقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس في الفترة ٤-٦ مارس ٢٠١٣م، وألقي أيضا بالمؤتمر الدولي الأول للآثار الإسلامية في المشرق الإسلامي، الذي عقد بكلية الآثار، جامعة القاهرة في الفترة ٨-١١ ديسمبر ٢٠١٣م.

- (١) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهرابي، حمص، ج١، ص ١.
- (٢) أشار بعض الباحثين إلى أن وجود المدينة كان سابقا لاسمها، أي أن نسبة المدينة إلى حمص بن مكنف العمليقي لا سند له، حيث أن ذلك الاسم لم يرد في التوراة أو في الآثار القديمة، وكان أول ذكر له في بداية القرن الرابع قبل الميلاد. منير الخوري أسعد، تاريخ حمص، ص ٣٧.
- (٣) الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٦١٦.
- (٤) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهرابي، حمص، ج١، ص ٤.
- (٥) منير الخوري أسعد، تاريخ حمص، ق ٢، ص ٤١.
- (٦) منير الخوري أسعد، تاريخ حمص، ق ٢، ص ١١٨.
- (٧) المكي، تاريخ حمص، ص ١٨.

وقد تخلفت لنا من كل عصر من العصور الإسلامية التي مرت على مدينة حمص عدد من الآثار المعمارية، بعضها طوي مع صفحات التاريخ وأصبح في عداد الآثار الدارسة، والكثير منها لا زال باقيا وشاهدا على عظمة الحضارة الإسلامية في تلك المدينة، وقد تنوعت العمائر الإسلامية الباقية بالمدينة فيما بين العمائر الدينية التي يأتي على رأسها جامع خالد بن الوليد الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة، حيث بنى هذا الجامع على قبر الصحابي الجليل ومر بالكثير من التجديدات التي كان آخرها أيام السلطان عبد الحميد في أواخر العصر العثماني^(٨).

ومن المنشآت المعمارية التي تميزت بها مدينة حمص وذاعت شهرتها على مر العصور التاريخية قلعتها الشهيرة التي تقع على تلة عالية بالطرف الجنوبي من المدينة^(٩)، وهذه القلعة تعد من أشهر قلاع المدن الإسلامية ولا زالت أطلالها باقية فوق تلتها.

وعلاوة على المنشآت الدينية والعسكرية، انتشرت أيضا المنشآت المدنية التي من ضمنها المنشآت ذات الصفة الخدمية، والتي يأتي على رأسها الحمامات العامة، وفكرة وجود الحمامات العامة بمدينة حمص لم تكن وليدة العصر الإسلامي، وإنما عرفت قبل الإسلام بقرون عديدة^(١٠)، فقد كشفت الحفائر والتنقيبات الأثرية عن أساسات الكثير من الحمامات العامة التي يعود تاريخها إلى الفترة اليونانية وقت أن كانت حمص تابعة لليونانيين في القرن الثالث قبل الميلاد^(١١).

وفيما يتعلق بالفترة الإسلامية فقد شهدت خلالها الحمامات العامة رواجاً كبيراً في مدينة حمص نتيجة لاهتمام حكام وولاة الدول الإسلامية بشكل عام بهذه المنشآت، لحث مبادئ الإسلام على النظافة والتطهر والتي تمثل الوظيفة الأساسية لمثل هذه المنشآت لاسيما وأن معظم البيوت كانت تخلو في تلك الفترة من المصادر الدائمة

(٨) أيوب سعدية، حمص أم الحجارة السود، ص ١٧.

(٩) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٦١٦.

(١٠) كان لفكرة الحمامات العامة بوادر في المعابد المصرية القديمة ولكنها لم تكن بنفس الهيئة التي اشتهرت بها بعد ذلك، حيث كانت مجرد حجرة صغيرة تلحق بالمعبد لطهارة الكهنة ولا يشترط فيه الماء الحار. Abd al-Mohsen el.Khashab (A.), Ptolemaic and Roman baths, p4. ويقال أن أول من وضع الحمام هو سيدنا سليمان عليه السلام وذلك ربطاً مع قصته ببليقيس ملكة سبأ حين أراد الزواج منها ووجدها شعراء، فسأل عما يزيل ذلك فأشارت إليه الجن باتخاذ النورة والحمام فكان الحمام من يومئذ، وقد قيل أيضاً أن أول من اتخذ الحمام هم اليونان وأن أول من اتخذ هو أبقراط الطبيب المشهور، وقيل أيضاً أندروماخس، والجمع فيما بين الآراء السابقة كلها ممكن، ذلك أنه من المحتمل أن يكون وضعه أحد ما ولم تشعر به العامة ثم وضعه الآخر وأظهره فتنبعه الناس عليه. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٥٧؛ الحسيني، كتاب الإلمام بأداب دخول الحمام، ص ٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤؛ المناوي، كتاب النزهة الزهية في أحكام الحمام، ص ١٨.

(١١) أيوب سعدية، حمص أم الحجارة السود، ص ٣٣.

للمياه ما جعل الحمامات العامة أحد الأركان الأساسية من النسيج العمراني للمدن، وقد اشتهرت مدن الشام بشكل عام بكثرة الحمامات منذ فترة صدر الإسلام^(١٢) وتأصلت عادة اعتيادها لدى السكان وأصبحت من المظاهر الأساسية التي ترسم عادات وتقاليد تلك المنطقة.

ولم تقتصر وظيفة الحمامات العامة بمدينة حمص على النظافة والتطهر فقط وإنما تعدتها لأغراض أخرى. حيث كانت الحمامات العامة بشكل عام واحدة من أهم وسائل التسلية التي اعتمد عليها الكثيرون في قضاء أوقاتهم في فترة العصور الوسطى^(١٣)، وكانت هذه المنشآت بمدينة حمص مسرحاً يلتقى فيه الصلبة والأحباب يقصدونها لقضاء أوقات فراغهم في الوقت الذي خلت فيه المدينة من أماكن التجمعات والمقاهي التي لم تصبح متواجدة ضمن النسيج العمراني إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين^(١٤)، هذا بالإضافة إلى أن الحمامات كانت مقصداً لإحياء العيد من المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزواج والختان وغيرها^(١٥).

ونتيجة لما تقدم فقد كثرت أعداد الحمامات العامة بمدينة حمص خلال العصر الإسلامي حتى وصل عددها لاثنتين وعشرون حماماً، وقيل ثمانية عشر منها أحد عشر حماماً كبيراً وسبعة صغار^(١٦)، وقد توزعت هذه الحمامات بشكل أساسي حول الجامع النوري وفي الأزقة والحارات ومناطق الأسواق^(١٧)، وعلى أية حال فلم يتبقى منها حالياً سوى أربعة حمامات^(١٨) أحدها الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذا البحث وهو حمام العثماني.

^(١٢) من المعروف تاريخياً أن مدن الشام بشكل عام تميزت بانتشار الحمامات العامة في الحضارات السابقة على الإسلام، وقد انتقلت تلك العادة إليها في فترة صدر الإسلام التي تضمنت العديد من نماذج الحمامات الشهيرة ومنها حمام قصير عمراً الشهير، ومما يدل على شهرة مدن الشام بالحمامات العامة في فترة صدر الإسلام ما رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني "أن نساء دخلن على أم سلمة رضي الله عنها فسألتهن من أنتن؟ قلن من أهل الشام، قالت من أصحاب الحمامات" ويدل ذلك على مدى شهرة بلاد الشام بهذه المنشآت واعتياد أهلها عليها منذ فترة صدر الإسلام. المنذري، الترغيب والترهيب، ص ١٧٧.

^(١٣) أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين، ص ٨٢.

^(١٤) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهراوي، حمص، ج ١، ص ١٤٢.

^(١٥) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهراوي، حمص، ج ١، ص ١٥٨، ١٥٩.

^(١٦) أحمد زكريا وصفي، جولة أثرية في البلاد الشامية، ص ٣٤٨.

^(١٧) أيوب سعدية، حمص أم الحجارة السود، ص ٥٣.

^(١٨) لم يتبقى من حمامات حمص في الوقت الحالي سوى أربعة حمامات، وهي حمام الصغير وهو أقدم الحمامات الأثرية الباقية بالمدينة ويعود تاريخه للفترة الأيوبية وهو مستغل حالياً كمستودع لتخزين الملابس، والحمام الثاني هو حمام العصياتي، وكان هذا الحمام باقياً بكامل عناصره ووحداته المعمارية حتى أصابته قذيفة أثناء أحداث الثورة السورية أدت إلى تدميره، ولم يتبقى منه

موقع الحمام :

يقع حمام العثماني بالقرب من جامع البازرباشي^(١٩) الشهير بحمص، حيث يقع ذلك الجامع بالجهة الشمالية من الحمام، ويشرف على الحمام أيضا من الجهة الجنوبية شارع يعرف باسم شارع المنصور، ويطل من جهته الغربية على كل من شارع الهادي وسوق الصاغة شكل(١)، ونلاحظ أن هذه المنطقة التي يقع فيها الحمام تعد من المناطق التجارية الهامة في المدينة، حيث يتضمن محيط الحمام العديد من الأسواق التجارية الشهيرة التي يأتي على رأسها سوق البازرباشي وهو من الأسواق الرئيسية التي تعتمد عليها المدينة، وهو سوق مكشوف يتصدره جامع البازرباشي المذكور والذي عرف على اسمه، وعلاوة على ذلك تتمركز في تلك المنطقة مجموعة من الأسواق منها سوق الصاغة المتخصص في بيع المشغولات الذهبية في حمص بأكملها، وهناك أيضا سوق المنسوجات وغير ذلك من الأنشطة التجارية.

ووقع الحمام في تلك المنطقة المتكدة بالأسواق القديمة يعد من المواصفات الهامة التي اعتمد عليها قديما في اختيار موقع الحمام، حيث أن الأسواق التجارية التي كانت تعقد في المدن الإسلامية يتزاحم عليها العامة من داخل المدينة وخارجها، مما كان يستلزم تواجد الحمام بجوار الأسواق تلبية لاحتياجات العامة حتى اشتهر الحمام منذ القدم باسم حمام السوق^(٢٠).

المنشئ وتاريخ الإنشاء :

لحسن الحظ أن الحمام لا زال محتفظا بلوحته التأسيسية مثبتة أعلى المدخل الرئيسي للحمام، وهي من الرخام الأبيض ومنقوش عليها ستة أبيات شعرية بخط الثلث منقذة بالحفر البارز على الرخام شكل(٢)، وتمت الإشارة إلى منشئ الحمام بالشرط الأول من البيت الخامس من هذه الأبيات منسوباً إلى عائلة من العائلات الشهيرة التي استوطنت حمص في تلك الفترة لا لشخص بعينه، وهذه العائلة هي عائلة "بني الجندي" كما وردت في الأبيات الشعرية المذكورة.

وبني الجندي من الأسر العريقة التي كانت تعيش في مدينة حمص في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وقد جاءت هذه الأسرة من معرة النعمان ثم

سوى أطلال، والحمام الثالث هو حمام الباشا من الفترة العثمانية، وهو متبقي بكامل عناصره، وبحالة جيدة من الحفظ، ولكنه مغلق وغير مستخدم في أية وظيفة، والحمام الرابع هو حمام العثماني، وقد خصص هذا البحث لدراسته.

^(١٩) يعد هذا الجامع أحد الجوامع الشهيرة بمدينة حمص، والتي يرجع تاريخها إلى الفترة العثمانية، ومعنى كلمة "البازرباشي" رئيس السوق، وقد عرف الجامع بذلك لوقوعه بسوق البازرباشي الشهير بحمص، وكان هذا السوق معروفا قديما باسم "سوق النسوان". أيوب سعدية، حمص أم الحجارة السود، ص ٢٦.

^(٢٠) محمد زيود، «النشاط التجاري في حلب»، ص ١٤٩.

امتدت إقامتها إلى مدينة حمص، وقد تم العثور على وثائق صادرة من المحكمة الشرعية بحمص تشير إلى انتماء أسرة آل الجندي إلى العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢١)، وبالتالي فهي من الأسر ذات النسب الشريف والمكانة المرموقة بمدينة حمص^(٢٢).

أما فيما يتعلق بتاريخ إنشاء الحمام فقد جاء مثبتا بالبيت الأخير من الأبيات الستة التي تحتويها اللوحة التأسيسية المثبتة أعلى المدخل، وذلك بطريقة حساب الجمل متمثلا في عبارة "بماء أطيب .. هذا نعيم الحور والولدان" وبحساب تلك العبارة نجد أنها تكافئ تاريخ ١٣١٥ هـ شكل (٣)، وهو نفس التاريخ المنقوش بالأرقام أسفل الأبيات الشعرية.

والواقع أن تاريخ هذا الحمام يظهر به إشكالية عند تحليل المصطلحات الواردة ضمن الأبيات، حيث أن أحد هذه المصطلحات يشير إلى أن هذا النص هو نص تجديد وليس إنشاء، فالشطر الأول من البيت الخامس نصه "وإلى بني الجندي سما تجديده" وهذا يوحي إلى أن بني الجندي قاموا بتجديد الحمام فقط، مما يوحي أنه كان موجودا قبل هذا التاريخ، ولكن الشطر الثاني من نفس البيت الشعري جاء نصه "وبنوه حسب الجهد والإمكان" وهذا يدل على أن ما قام به بني الجندي كان بناء للحمام وليس مجرد تجديد، هذا بالإضافة إلى أن الشطر الأول من البيت الرابع جاء نصه "قد تم في عون الإله بناؤه" وفي ذلك إشارة أخرى إلى أن ذلك النص هو نص إنشاء وليس تجديد، هذا بالإضافة أيضا إلى أن المصادر التاريخية^(٢٣) التي ذكرت حمامات حمص لم تشر من قريب أو من بعيد إلى ذلك الحمام قبل تلك الفترة، وهذا يرجح أن التاريخ الوارد على النقش التأسيسي أعلى مدخله وهو ١٣١٥ هـ/١٨٩٨ م هو تاريخ إنشاء وليس تجديد، والجمع فيما بين المصطلحين الدالين على التجديد والبناء في نقش واحد، ربما يوحي بوجود حمام مندثر سابق لهذا الحمام في نفس موقعه، ثم تم بناء الحمام الحالي على أنقاضه نفس الموقع، وفي تلك الحالة أيضا يكون التاريخ الوارد بالنقش هو تاريخ إنشاء أيضا.

(٢١) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهراوي، حمص، ج٣، ص ٥٠.

(٢٢) تعد أسرة بني الجندي من الأسر الشهيرة بمدينة حمص والتي شغل أفرادها العديد من المناصب القيادية، ومثال ذلك عبد الرحمن الجندي الذي كان حاكما لقلعة حمص وكانت وفاته ١٢٨٢ هـ/١٨٦٥ م، وأمين الجندي مفتي دمشق توفي سنة ١٢٩٥ هـ/١٨٧٩ م، وحافظ الجندي مفتي حمص توفي سنة ١٣٠٣ هـ/١٨٨٤ م، عبد الرازق الجندي الذي كان حاكما لمدينة حمص وكانت وفاته في سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩ م، وغيرهم الكثير. محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهراوي، حمص، ج٣، ص ٥٠.

(٢٣) المكي، تاريخ حمص، ص ١٩.

الوصف المعماري للحمام :

يشغل الحمام مساحة مستطيلة غير منتظمة الأضلاع، ويحده من الجهة الشمالية ساحة البازرباشي، ومن الجهة الغربية شارع الهادي وسوق الصاغة، ومن الجهة الجنوبية شارع المنصور، ومن الجهة الشرقية حارة فرعية تصل بين شارع المنصور وساحة البازرباشي، ويحيط بالحمام في الوقت الحالي مباني حديثة ومحلات تجارية تفصل بين واجهاته والمحيط الخارجي له، وبالتالي فإن الحمام لا يشرف على الخارج إلا من خلال الجزء الشمالي من الواجهة الغربية، ويتكون الحمام بشكل عام من كتلة الدخول وثلاثة أقسام وهي البراني والوسطاني والجواني متبوعة بعد ذلك بالقميم شكل(٤).

الواجهة الغربية ومدخل الحمام :

تعد الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية، حيث إنها تتضمن مدخل الحمام في الطرف الشمالي منها، ويتقدم هذه الواجهة في الوقت الحالي صف من المحلات التجارية الحديثة تفصل فيما بينها وبين الشارع الخارجي فيما عدا الجزء الشمالي الذي يتضمن كتلة الدخول، ونلاحظ أن الواجهة ككل مبنية من الحجر الأسود البازلتي^(٢٤) الذي تشتهر به مدينة حمص، وهي بسيطة جدا من ناحية الزخارف، كما أنها واجهة صماء وتخلو تماما من النوافذ والفتحات.

ويمتد الطرف الشمالي للواجهة للخلف بمقدار ٦,٥ م ثم تكمل امتدادها في اتجاه الشمال، وفي هذا الجزء نجد كتلة الدخول للحمام، وهي من النوع التذكاري الغائر، وتتكون من دخلة غائرة مستطيلة الشكل تبلغ فتحة اتساعها ٢,٣٠ م، وعمقها في سمت الواجهة ٣٨ سم، ويتوجها من أعلى عقد مدبب الشكل نفذت حافته الداخلية بهيئة متعرجة على شكل زجاج لوحه(١)، وفي صدر تلك الدخلة نجد فتحة الدخول للحمام، وهي عبارة عن فتحة مستطيلة اتساعها ١,١٠ م، وارتفاعها ٢,٢٠ م، ويوجد على كل من يمينها ويسارها مكسلة حجرية ارتفاعها ٧٥ سم وعمقها ٣٨ سم، وعرضها ٤٥ سم، هذا ويتوج فتحة الدخول من أعلى عتب حجري مستقيم يعلوه نفيس وعقد عاتق.

(٢٤) تميزت مدينة حمص دون غيرها من مدن القطر السوري بمقاطع الأحجار البازلتية السوداء، ولذلك اشتهرت المدينة منذ القدم باستخدامه في مبانيها حتى أن أبناء حمص كانوا يقدسونه في العهود الوثنية، وفي العصر الإسلامي كان له شهرة واسعة النطاق في بناء العمائر الإسلامية، وقد اعتاد الحمصيون على تزيينه بأشكال مختلفة من الحجارة الكلسية البيضاء. عماد الدين الموصل، ربوع محافظة حمص، ص ٢٢٦.

وعلى الرغم من بساطة الواجهة إلا أن المعمار ميز كتلة المدخل بزخارف الأبلق^(٢٥) عن طريق الدمج بين الأحجار البازلتية السوداء والأشرطة الرخامية بيضاء اللون والتي تتناوب مع بعضها البعض على يمين ويسار فتحة الدخول للحمام لوحة (١)، وعلاوة على ذلك قام المعمار بشغل منطقة النفيس التي تعلو عتبة المدخل بزخارف من الرخام الأبيض تشبه إلى حد كبير أشكال الأسهم، وقد قام بتنفيذها بهيئة إشعاعية وكأنها تنطلق لأعلى من مركز واحد، بحيث تظهر رؤوسها جميعا خارج منطقة النفيس المشار إليها، ويعلو ذلك تكوين زخرفي من الرخام الأبيض محصور داخل مساحة عقد المدخل على شكل ثلاث مناطق مرتبة بشكل أفقي، اليمنى واليسرى منها على شكل مستطيل رأسي شغل من الداخل بمعينين من الحجر البازلتي الأسود، أما الوسطى فتأخذ شكل مربع شغل من الداخل بستة أبيات شعرية مكتوبة بخط الثلث^(٢٦) ومنفذة بالحفر البارز على أرضية من الرخام الأبيض لوحة (٢)، وتحمل هذه الأبيات النقش التأسيسي الخاص بالحمام، وقد جاء نصها كالآتي

نعم النعيم لفاصدي	حمام أنس محكم البنيان
تجري على نيرانه أنهاره	بتسلسل في أبدع الإتقان
ينبيك حسن بنائه عن مائه	عذب المزيل برودة الأحزان
قد تم في عون الإله بناؤه	وحما حماه من الأذى بأمان
وإلى بني الجندي سما تجديده	وينوه حسب الجهد والإمكان
بيري الضنا أرخ بماء أطيب	هذا نعيم الحور والولدان

١٣١٥

ونلاحظ أن كل شطر من الأبيات السابقة جاء محصورا داخل منطقة مستطيلة الشكل حددت بإطارات بارزة من الرخام، وقد جاءت هذه الأبيات متبوعة بتاريخ الإنشاء مكتوبا بالأرقام، ويحيط به من على اليمين واليسار فرع نباتي منفذ بالحفر البارز على الرخام.

(٢٥) زخرفة الأبلق أحد الطرق القديمة التي استخدمت في زخرفة العمائر منذ قبل الإسلام، ويقصد بها استخدام القطع الحجرية المصقولة ذات الألوان الطبيعية المختلفة في بناء واجهات المباني بحيث يتم الاستفادة من تناوب الألوان الطبيعية لأحجار البناء لينتج عن ترتيبها وفق نظام معين مظهر زخرفي كان له دورا إيجابيا في تحلية الشكل العام لهذه المنشآت. سامي أحمد عبد الحليم،

الحجر المشهر، ص ٣، ٤؛ Martin Briggs, Mohammadan architecture, p.183.

(٢٦) يعد خط الثلث أحد أهم أنواع الخطوط التي استخدمت في زخرفة العمائر الإسلامية في بلاد الشام بشكل عام، وقد سمي بذلك نتيجة مقارنته بخط الطومار الذي يبلغ سمكه أربع وعشرون شعرة من شعر البرزون في حين أن خط الثلث يبلغ سمكه ثمان شعرات فقط. محمد كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص ١٣١.

القسم البراني:

يتم التوصل للقسم البراني من الحمام من خلال الباب الوحيد الخارجي السابق الإشارة إليه، حيث نصل من خلاله إلى دهليز قصير مغطى بقبو مدبب يبلغ امتداده ١,٩٠م، وعرضه ١,١٠م، ويؤدي عند نهايته بشكل مباشر^(٢٧) داخل القسم البراني من الحمام، ويتكون البراني بشكل عام من دورقاعة وسطى مربعة الشكل يتعامد عليها أربعة إيوانات^(٢٨) شكل (٤)، لوحة (٣).

الدورقاعة:

تتكون من مساحة مربعة الشكل طول ضلعها ٦م^٢، وقد كسيت أرضيتها ببلاطات من الرخام متعددة الألوان ومختلفة الأحجام، وتتنخفض أرضيتها بشكل عام عن أرضية الإيوانات المحيطة بها، ويتوسط مساحتها فسقية^(٢٩) مئنة الشكل من الرخام الأصفر يشبه إلى حد كبير البلاطات الرخامية المستخدمة في تكسية أرضية الدورقاعة، ويخرج من هذه الفسقية نافورة مرتفعة من الرخام الأبيض مكونة من ثلاثة مستويات متتالية من أسفل لأعلى، وقد نفذ كل مستوى منها على شكل وريدة متعددة البتلات،

^(٢٧) من المعتاد في مداخل الحمامات أن تكون من النوع المنكسر، لما يعود ذلك بالنفع الكبير على جمهور المستحمين من ناحية، وعلى الحمام نفسه من ناحية أخرى، حيث أن المدخل المنكسر يجنب من بداخل الحمام عن أعين المارة، كما أنه يساعد في كسر تيارات الهواء الداخلة للحمام، وعلى الرغم من ذلك جاء مدخل حمام العثماني من النوع المباشر، وفي ذلك شذوذ عن القاعدة، وليس معنى ذلك أنه الحمام الوحيد الذي جاء مدخله من النوع المباشر، وإنما هناك الكثير من الأمثلة سواء في حمص أو خارجها جاءت مداخلها من هذا النوع. منصور عبد الرزاق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤١٦.

^(٢٨) يعد ذلك النمط من التخطيط هو النمط الشائع في تخطيط القسم البراني بحمامات حمص، حيث نلاحظ أن الحمامات الثلاثة الأخرى الباقية بالمدينة تخطيط القسم البراني منها عبارة عن دورقاعة وسطى يتعامد عليها أربعة إيوانات، وهي حمام الصغير، العصياتي، وحمام الباشا، ولم يقتصر ذلك الأمر على حمامات حمص وحدها وإنما يعد هذا النمط هو الأكثر شيوعاً في الحمامات الشامية بشكل عام، ففي دمشق نجد أن أكثر نماذج الحمامات الباقية بها يتكون القسم البراني منها من ذلك النمط من التخطيط المتعامد، ومثال ذلك حمام نور الدين (البزورية)، حمام القرمانلي، حمام الورد، وكذلك الحال في مدينة حلب ومثال ذلك حمام بزدار، حمام القاضي، حمام الأفندي، وحمام يلغا الناصري. Michel Ecohard & Claude Lecoer, Les Bains de Damas, p69; Carole Hillenbrand, The Crusades Islamic perspectives, p277. عادل زيادة،

الحمامات الباقية بمدينة دمشق، شكل (١)؛ منصور عبد الرزاق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٠٣.

^(٢٩) تعد الفسقية من العناصر الهامة التي تميز القسم الخارجي من الحمامات العامة بشكل عام، فهي من ناحية تساعد على تلطيف درجة الحرارة من خلال الماء المنساب منها، ومن ناحية أخرى تعد عنصر جمالي يساهم إلى حد كبير في تجميل ذلك القسم الذي يعد بمثابة قسم الاستقبال لوارد الحمام. منصور عبد الرزاق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٤٠.

حيث ينساب الماء من أعلى النافورة إلى المستويات الثلاثة معطياً بذلك شكل جمالي بديع لوحة (٤) .

ويتوج الدورقاعة من أعلى قبة ضخمة من الأجر ذات قطاع نصف مستدير شكل (٥)، وترتكز هذه القبة على مناطق انتقال من مثلثات كروية في الأركان الأربعة ناتجة عن المساحات المحصورة بين أرجل عقود الإيوانات المحيطة بالدورقاعة، ويعلو مناطق الانتقال المشار إليها رقبة مضلعة مكونة من اثني عشر ضلع، يشغلها اثني عشرة نافذة، بواقع نافذة واحدة بكل ضلع منها، وتتكون كل نافذة من فتحة مستطيلة متوجة بعقد نصف مستدير، وهذه النوافذ كانت مغطاة جميعها بالجص والزجاج الملون إلا أنها مغلقة حالياً بشبابيك من الزجاج الشفاف لإضاءة الدورقاعة من الداخل، ويعلو الرقبة المضلعة المشار إليها استدارة خوذة القبة التي يلتف حول قاعدتها أربع نوافذ تأخذ نفس شكل النوافذ الموجودة في الرقبة المضلعة لوحة (٥)، ويزين باطن خوذة القبة أربع حشوات جصية مربعة الشكل، يشغل كل منها زخارف نباتية منفذة بالحفر البارز والغائر على الجص تلتف حول زخرفة كتابية أخرى قوامها "الله - محمد".

وتنتهي خوذة القبة عند قمته بفتحة مئمنة الشكل يلتف حولها عدد من الحشوات الجصية الصغيرة الحجم والمنفذة على شكل وريادات وأوراق نباتية، ويعلو هذه الفتحة أعلى القبة فانوس^(٣٠) مئمن من الأجر فتح بأربعة أضلاع منه أربع نوافذ مستطيلة لإضاءة وتهوية الدورقاعة من الداخل، ويتوج ذلك الفانوس قبيبة صغيرة من الأجر أيضاً لوحة (٦).

ويحيط بالأضلاع الأربعة للدورقاعة أربعة إيوانات تشرف على داخل الدورقاعة بكامل اتساعها، ونلاحظ أن القسم البراني بشكل عام متمثلاً في الدورقاعة والإيوانات المحيطة بها جاء أكثر ارتفاعاً وعلواً عن باقي أجزاء الحمام^(٣١).

(٣٠) يعد أحد أهم وسائل الإضاءة داخل الحمامات، وبالتحديد بالقسم البراني، وخاصة في حمامات الشام بشكل عام، حيث أن الشكل المميز للقسم البراني بهذه الحمامات عبارة عن دورقاعة وسطى تلتف حولها الإيوانات الأربعة ويغطيها قبة مرتفعة تنتهي عند قمته بفتحة يثبت أعلاها فانوس يستخدم في الإضاءة والتهوية على حد سواء. منصور عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٢٧.

(٣١) من المعتاد في الحمامات العامة بشكل عام أن يكون سقف القسم الخارجي أكثر ارتفاعاً من الوحدات الداخلية للحمام، حيث أن درجة الحرارة في ذلك القسم لا تختلف كثيراً عن خارج الحمام وبالتالي فليس هناك مانع من علو سقفه أو حتى احتوائه على فتحات تشرف على الخارج، أما الوحدات الداخلية متمثلة في الوسطاني والجواني (القسم الدافئ والحر)، فغالباً ما يأتي سقفاها منخفض حتى يقلل من مساحة المحيط الداخلي لها وبالتالي يحافظ على درجة الحرارة ويسهل التحكم فيها. المناوي، النزهة الزهية، ٦١.

الإيوان الشمالي:

يقع ذلك الإيوان في مواجهة دهليز المدخل، وهو مستطيل الشكل حيث يبلغ اتساعه ٦م، وعمقه ٦,٩٠م، ويغطيه قبو مدبب من الأجر يشرف بكامل اتساعه على داخل الدورقاعة لوحة (٣)، ويشغل الجزء الشرقي منه مصطبة مرتفعة^(٣٢) بمقدار ٩٠سم ويتم الصعود إليها من خلال سلم حجري من ثلاث درجات، وفي خلفية الإيوان هناك مساحة أخرى معلقة ترتفع عن أرضية الإيوان بمقدار ٣م، ويتم الصعود إليها من خلال سلم خشبي مستحدث، وبالجدار الشرقي للإيوان هناك دخلة مستطيلة بها نافذة تشرف على خلوة صغيرة.

الإيوان الجنوبي:

هو الإيوان المقابل للإيوان السابق، وهو مكون من مساحة مستطيلة حيث يبلغ اتساعه ٦م، وعمقه ١,٤٠م، ويتوجه قبو مدبب من الأجر يشرف بكامل اتساعه على داخل الدورقاعة، ويشغل أرضيته من أسفل مصاطب مرتفعة عليها وسائد حديثة لاستراحة المستحمين، وفي صدر الإيوان عند قمة عقد القبو المتوج له قمرية مستديرة للإضاءة والتهوية.

الإيوان الغربي:

عبارة عن مساحة مستطيلة، حيث يشرف على داخل الدورقاعة بفتحة مقدارها ٦م، كما يبلغ عمقه ٤,٤٠م، ويتوجه أيضا قبو مدبب من الأجر يشرف بكامل اتساعه على داخل الدورقاعة، وترتفع أرضيته عن الدورقاعة بمقدار ٩٠سم، ويصعد إليه من خلال سلم حجري من ثلاث درجات عند منتصف واجهته، وبالجدار الجنوبي منه دخلة حائطية مستطيلة الشكل ومتوجة بعقد موتور، وبصدره دخلتان كل منهما عبارة عن مستطيل متوج بعقد نصف مستدير، أما الجدار الشمالي فيوجد في طرفه الغربي نافذة عميقة اتساعها ١م، وعمقها ٢,٣٠م، وتشرف هذه النافذة على الخارج مطلة على المدخل الخارجي للحمام بحيث تقع على يمين الداخل إليه.

الإيوان الشرقي:

يتكون ذلك الإيوان من مساحة مستطيلة، ويبلغ اتساعه ٦م، وعمقه ٤,٣٠م، ويتوجه قبو مدبب من الأجر يشرف بكامل اتساعه على داخل الدورقاعة، وترتفع أرضيته عن أرضية الدورقاعة بمقدار ٩٠سم، ويصعد إليه من خلال سلم حجري من ثلاث

(٣٢) يتميز القسم الخارجي من الحمام باحتوائه على عدد من المصاطب المرتفعة التي تحيط بجدران الإيوانات من الداخل، وهذه المصاطب تعرف باسم مصاطب الراحة، حيث أنها تستخدم في استراحة المستحمين قبل وبعد الاستحمام، ويصعد لهذه المصاطب من خلال سلالم من الحجر المكسي بالرخام أحيانا وتفرش بالمفروشات الفخمة والوسائد الملونة. منصور عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٠٣.

درجات عند منتصف واجهته الأمامية، وبصدره دخلتان حائطيتان كل منهما عبارة عن مستطيل رأسي عمقه في الجدار ٤٠ سم، وارتفاعه ١,٣٠ م، ويتوجه من أعلى عقد نصف مستدير وبالطرف الجنوبي من نفس الضلع هناك فتحة باب مستطيلة متوجة بعقد موتور نصل من خلاها إلى دهليز مستعرض على اليسار منه باب نصل من خلاله إلى مساحة غير منتظمة الأضلاع مستخدمة كمقهى حديث ملحق ببراني الحمام، وعلى اليمين منه باب نصل من خلاله إلى موضع القميم.

وفي منتصف الضلع الشمالي هناك فتحة باب مستطيلة يتوجها عقد نصف مستدير من صنجات حجرية تؤدي إلى خلوة صغيرة غير منتظمة الأضلاع ويغطيها قبو نصف برميلي من الأجر، ويشغل الجدار الجنوبي دخلة حائطية مغطاة بقبو مدبب على يسارها فتحة باب أخرى متوجة بعقد مدبب من صنجات حجرية نصل من خلالها إلى الوسطاني، ويتقدم تلك الدخلة الحائطية والباب الواصل للوسطاني جدار صغير مستحدث داخل مساحة الإيوان.

القسم الوسطاني:

يعد ذلك القسم ثاني أقسام الحمام إلا أنه يعد أول أقسام الحمام الفعلية التي تتم فيها مراحل الاستحمام، ويعرف هذا القسم بهذا الاسم في الحمامات الشامية بشكل عام، وغالبا ما يكون أقل في المساحة من البراني، وتكون أرضيته في مستوى أرضية البراني إلا أن سقفه يكون منخفضا عنه للحفاظ على درجة حرارته، ويتم التوصل إليه في هذا الحمام من خلال فتحة باب صغيرة بالضلع الجنوبي من الإيوان الشرقي من البراني، وهذه الفتحة عرضها ١ م، ويتوجها من أعلى عقد مدبب الشكل، ونصل من خلالها إلى دهليز مستطيل عرضه ١ م وامتداده ٢,١٠ م، وينتهي ذلك الدهليز إلى دركاة مستطيلة الشكل مغطاة بقبو مدبب يشغل محيطه عدد كبير من المضاي الزجاجية الملونة، وعلى يسار الداخل لهذه الدركة من الدهليز السابق هناك فتحة باب نصل من خلالها إلى دهليز مستعرض يفتح عليه ثلاثة أبواب تؤدي إلى المراحيض الثلاثة الملحقة بالحمام، ونلاحظ أن مساحة الدهليز المستعرض والمراحيض مغطاة جميعها من أعلى بقبو واحد مدبب الشكل يشغل محيطه عدد كبير من المضاي الزجاجية الملونة مرتبة في شكل زخرفي على هيئة نجمة رباعية الرؤوس، وعلى يمين الداخل إلى الدركة السابقة الذكر هناك فتحة باب أخرى تقضي مباشرة إلى القسم الوسطاني من الحمام.

ونلاحظ أن القسم الوسطاني بهذا الحمام يتميز بأنه مقسم إلى قسمين بواقع وسطاني أول ووسطاني ثاني، وهو ما يميز الحمامات الشامية بشكل عام^(٣٣) وليس حمامات حمص وحدها شكل(٥).

الوسطاني الأول:

يلي الوسطاني الأول براني الحمام مباشرة بعد المرور في الدهليز الواصل بين القسمين، ويتكون من حجرة مستطيلة الشكل طولها ٨,٤٠م، وعرضها ١٠,٤م، وأرضيتها مفروشة ببلاطات من الرخام الأبيض والأسود مرتبة على شكل رقعة الشطرنج لوحه(٧)، ويغطي هذه الحجرة من أعلى قبو نصف برميلي شغلت مساحته بأكملها بعدد كبير من المضايي الزجاجية المتعددة الألوان لوحه(٧).

ونلاحظ أن الضلع الشمالي لحجرة الوسطاني الأول مصمت تماما ويخلو من الدخلات أو النوافذ، وبمنتصف الضلع الغربي هناك حوض رخامي ذو واجهة نصف مستديرة غشيت من الخارج بوزرات من الرخام الأصفر والأسود، وهذه الوزرات مرتبة في شكل رأسي، ويوجد خلف هذا الحوض في سمت الحائط دخلة مجوفة تشبه حنايا المحاريب وهذه الدخلة معقودة بعقد نصف مستدير نفذت صنجاته باللونين الأصفر والأسود على غرار النظام المشهر. وبالضلع الشرقي المقابل للضلع السابق هناك فتحتي باب، الشمالية منهما مستطيلة الشكل ويتوجها عقد موتور نفذت صنجاته وفق النظام المشهر أيضا، وهي الفتحة الواصلة بين حجرة الوسطاني الأول والدهليز الآتي من البراني، أما الفتحة الجنوبية فهي أكثر اتساعا وارتفاعا من السابقة، ويتوجها أيضا عقد موتور نفذت صنجاته وفق النظام المشهر، ويغلق عليها باب خشبي حديث، وتصل تلك الفتحة إلى خلوة صغيرة مربعة الشكل مغطاة بقبة ضحلة ذات مضايي مقامة على مثلثات كروية في أركانها الأربعة.

أما الضلع الجنوبي من حجرة الوسطاني الأول فيوجد بالجانب الغربي منه دخلتين مستطيلتين يتوج كل منهما عقد نصف مستدير وترتفع أرضية كل منهما عن أرضية

^(٣٣) يتميز القسم الوسطاني في غالبية الحمامات الشامية بتقسيمه إلى قسمين، ويعد ذلك تأثير مباشر من عامل المناخ الذي أثر على أسلوب تشغيل الحمامات وطريقة تسخينها، فالمناخ الشامي في فصل الشتاء يكون قارص البرودة ولذلك حافظ المعمار على أسلوب التسخين الجاف الذي يعتمد على سريان ممرات الهواء الساخن أسفل أرضيات الجواني، وعلى العكس من ذلك يكون المناخ شديد الحرارة في فصل الصيف، وبالتالي فالكثير من واردي الحمامات يرغبون عن دخول القسم الجواني لشدة حرارته ويتم الاكتفاء بالدخول إلى القسم الوسطاني فقط، ومن هنا كان لابد من الاهتمام بذلك القسم معماريا وجعله يشغل حيزا كبيرا من مساحة الحمام لأنه يعد القسم الرئيسي للحمام في فصل الصيف، وذلك على عكس ما نجده في الحمامات المصرية على سبيل المثال، حيث يكون وجود = ذلك القسم استثنائيا ولا يزيد كيانه المعماري عن مجرد حجرة صغيرة تمثل مرحلة انتقالية بين قسمي الحمام الخارجي والداخلي. منصور عبد الرزاق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٠٦.

حجرة الوسطاني الأول بمقدار ١م، ويبدو أنهما كانا مستخدمان في حفظ متعلقات الحمام أو لجلوس المستحمين، وبالجانب الشرقي من الضلع نفسه فتحة باب أخرى متوجة بعقد نصف مستدير تصل مباشرة إلى الوسطاني الثاني لوحة (٨).

الوسطاني الثاني:

يتم التوصل للوسطاني الثاني من خلال فتحة الباب الواقعة بالطرف الشرقي من الضلع الجنوبي للوسطاني الأول، ويغلق على هذه الفتحة باب خشبي ثبت على سمت الجدار من جهة الوسطاني الثاني، وهذا الباب يتم غلقه تلقائياً بطريقة ميزان الخيط^(٣٤) لوحة (٨)، ويفضي هذا الباب مباشرة داخل الوسطاني الثاني الذي يتكون من قاعة مستطيلة الشكل أقل اتساعاً من قاعة الوسطاني الأول، حيث يبلغ اتساع تلك القاعة ٦,٣٥م × ٤,٥م لوحة (٩)، ويغطيها قبو نصف برميلي من الأجر ومكسو بطبقة من الميلاط ويشغل محيطه عدد كبير من المضايي الزجاجية المتعددة الألوان مرتبة في أشكال زخرفية على شكل أنصاف دوائر ومثلثات لوحة (١٠)، وأرضيتها عبارة عن أرضية رخامية بيضاء اللون يتخللها عدد من البلاطات الرخامية السوداء يشغل كل منها وربدة رباعية البتلات.

وبالطرف الشمالي من الضلع الشرقي لقاعة الوسطاني الثاني هناك فتحتي باب يبلغ عرض كل منهما ٧٠سم، ويتوج كل منهما عقد نصف مستدير من الحجر البازلتى الأسود، ويؤدي كل من البابين إلى خلوة صغيرة مستطيلة الشكل لوحة (٩)، وقد جاءت الخلوة الشمالية أكبر من الجنوبية حيث يبلغ طولها ٢,٦٠م، وعرضها ٢م، أما الخلوة الجنوبية المجاورة لها فيبلغ طولها ٢,٦٠م، وعرضها ١,٥م، وبصدر كل منهما جرن رخامي للاغتسال لوحة (١١)، ويتوج كل خلوة من الخولتين قبو مدبب من الأجر المكسي بطبقة من الميلاط، ويشغل محيطه الداخلي عدد من المضايي الزجاجية المتعددة الألوان لوحة (١٢).

(٣٤) غلق الأبواب تلقائياً بطريقة ميزان الخيط من الأمور المتبعة في الحمامات بشكل عام وخاصة في حالة الأبواب التي تفصل بين قاعات الحمام المتفاوتة الحرارة، فلكي يتم الحفاظ على ثبات درجات الحرارة في هذه القاعات دون إهدارها، لا بد من الحفاظ على الأبواب مغلقة، وبالتالي كانت تستخدم طريقة ميزان الخيط للحفاظ على ذلك، وهذه الطريقة تعتمد على خيط مصنوع من مادة قوية يتم تثبيت إحدى طرفيه في أعلى الباب الخشبي المراد غلقه تلقائياً، ويمرر الطرف الآخر في حلقة معدنية تثبت في الجدار المجاور للجهة التي يفتح منها الباب، وعلاوة على ذلك يتم تثبيت كتلة معدنية أو حجرية ذات وزن مناسب عند نهاية الطرف الآخر بعد تمريره بداخل الحلقة المشار إليها، وبالتالي فإن هذه الكتلة تحافظ على الخيط مشدوداً لأسفل وبالتالي فإن الباب يبقى مغلقاً، وعند دخول شخص من واردي الحمام من قاعة لأخرى يقوم بدفع الباب فيقوم الخيط بشد الكتلة المشار إليها لأعلى، وإذا ما ترك الباب يتم جذب الخيط مرة أخرى لأسفل من خلال الكتلة المعلقة فيغلق الباب تلقائياً على نسق أبواب القاعات المكيفة في الوقت الحالي.

وبكل من الطرف الشرقي والغربي للضلع الشمالي من قاعة الوسطاني الثاني هناك دخلة حائطية ترتفع أرضيتها عن أرضية القاعة بمقدار ٩٠سم، وتبلغ فتحة اتساعها ١,٨٠م، وعمقها في الجدار ٦٠سم، ويتوج كل منهما عقد نصف مستدير، وبمنتصف الضلع الشمالي فيما بين الدخلتين هناك فتحة الباب التي تصل بين الوسطاني الأول والثاني.

ويتوسط الضلع الغربي للقاعة ذاتها فتحة باب مستطيلة متوجة بعقد نصف مستدير نصل من خلالها إلى خلوة ثالثة ذات مساحة مستطيلة حيث يبلغ طولها ٢,٩٠م، وعرضها ٢,٢٠م، ويتوسط كل من ضلعها الغربي والشمالي جرن صغير من الرخام الأبيض للاغتسال، ويتوج هذه الخلوة من أعلى قبو مدبب من الأجر مكسو بطبقة من الميلاط ويشغل محيطه الداخلي عدد من المضايي الزجاجية ذات الألوان المتعددة.

أما عن الضلع الجنوبي لقاعة الوسطاني الثاني فيشغل كل من الطرف الشرقي والغربي منه جرن صغير من الرخام الأبيض للاغتسال، ويتوسطه فتحة باب عرضها ٩٠سم، وارتفاعها ٢,٣٠م، ويتوجها عقد نصف مستدير نفذت صنجاته بالرخام الأبيض والأسود على نسق النظام الأليق وكذلك واجهة الفتحة المشار إليها، وهذه الفتحة تصل بدورها إلى القسم الجواني من الحمام لوحه (١٣).

القسم الجواني:

يتم التوصل للقسم الجواني من الحمام من خلال فتحة الباب الواقعة بمنتصف الضلع الجنوبي لقاعة الوسطاني الثاني، حيث تؤدي تلك الفتحة بشكل مباشر داخل الجواني الذي يتكون بدوره من تخطيط مشابه لقاعتي الوسطاني، حيث يتكون في مجمله من قاعة مستطيلة تمتد بشكل عرضي لوحه (١٤)، ويتعمد على تلك القاعة أربع خلاوي صغيرة للاغتسال بواقع خلوة واحدة مقابل كل ركن من أركان القاعة الرئيسية شكل (٥).

ويبلغ طول قاعة الجواني ١٢,٢٠م، وعرضها ٥م، وقد فرشت أرضيتها ببلاطات رخامية باللونين الأبيض والأسود مرتبة على شكل مستطيلات متداخلة أو متحدة المركز، ويسقف تلك القاعة قبو ضخم من الأجر مكسي بطبقة من الميلاط، ويشغله عدد كبير من المضايي الزجاجية المتعددة الألوان مرتبة في أشكال زخرفية على شكل دوائر متكاملة وأنصافها وأشكال معينة ومثلثات معدولة ومقلوبة.

وقد جاء كل من الضلعين الشرقي والغربي من قاعة الجواني خاليان تماما من الدخلات أو فتحات الأبواب، ويقابل كل ضلع منهما ثلاثة أجران من الرخام، ويفصل بين كل جرن وآخر حاجز صغير يرتفع عن أرضية الجواني بمقدار ١م، وقد بنيت هذه الحواجز بالأجر وكسيت ببلاطات من القاشاني المستحدث لوحه (١٥).

ويحتوي الجدار الشمالي من قاعة الجواني على ثلاث فتحات أبواب، الأوسط منها هو الباب الواصل بين الجواني والوسطاني الثاني، أما البابين الشرقي والغربي فيؤدي كل منهما إلى خلوة صغيرة مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها ٢,٥ × ٢م، وأرضيتها مفروشة بالرخام وفي صدرها جرن رخامي للاغتسال لوحة (١٧)، ويعلوها قبية ضحلة ذات مضاي. ويحتوي الجدار الشمالي لقاعة الجواني أيضا على دخلتين حائطتين يبلغ اتساع كل منهما ١,٢م، وارتفاع كل منهما ٢,٣م، وترتفع أرضيتهما عن أرضية الجواني بمقدار ٩٠سم، ويبدو أنهما كانا مستخدمان كمصاطب للجلوس والتعرق داخل الجواني.

والجدار الجنوبي لقاعة الجواني يحتوي أيضا على ثلاث فتحات، الأولى والثالثة عبارة عن فتحتي باب يؤدي كل منهما إلى خلوة مربعة الشكل طول ضلعها ٣م^٢، وقد فرش أرضية الخلوتين بالرخام ويغطي كل منهما قبة ضحلة ذات مضاي مقامة على مثلثات كروية، وتحتوي الخلوة الغربية منهما على ستة أجران للاغتسال، أما الخلوة الشرقية فتحتوي على ثلاثة فقط أحدها يقع بصدر دخلة عميقة بالطرف الشمالي من الجدار الغربي لتلك الخلوة، أما الفتحة الوسطى الواقعة بمنتصف الجدار الجنوبي فهي عبارة عن نافذة مربعة الشكل يشرف الجواني من خلالها على خزان المياه الساخنة (الدست)^(٣٥) الواقع خلف هذا الجدار مباشرة، ونلاحظ أن تلك النافذة تقع داخل دخلة ضخمة متوجة بعقد نصف مستدير يركز على عامودين من الرخام بالجانب الأيمن والأيسر، وقد كسيت واجهة تلك الدخلة بوزرات رخامية باللونين الأسود والأصفر على نسق النظام المشهر، ويتقدم تلك الدخلة من أسفل مصطبة^(٣٦) ذات حافة مستديرة ترتفع عن أرضية الجواني بمقدار ٨٠سم، وقد كسيت واجهتها الأمامية وكذلك سطحها العلوي بالرخام لوحة (١٦).

^(٣٥) غالبا ما يصنع خزان المياه الساخنة من النحاس السميك حفاظا على درجة حرارة المياه بداخله، وأحيانا يتم تغليف النحاس من الخارج بطبقة من الأجر المكسو بطبقة من الميلاط للمحافظة على عدم فقدان درجة حرارة المياه، وكذلك عدم تعريض الدست للنار بشكل مباشر مما يؤدي إلى تأكله، ويثبت الدست فوق فتحة المستوقد مباشرة بحيث يكون أعلى من مستوى الحمام بحيث يسهل ذلك انتقال المياه منه إلى وحدات الحمام الداخلية من خلال الأقباب الفخارية التي تسير داخل الجدران. ^(٣٦) تعرف هذه المصطبة في الحمامات الشامية بشكل عام باسم مصطبة بيت النار، ويطلق عليها ذلك المسمى لأن حرارتها تكون مرتفعة جدا نتيجة وجود أقبية فخارية تمتد أسفلها، وهذه الأقبية يتصل طرفها الأول بمستوقد الحمام بحيث تسري أسنة اللهب المنبعثة من المستوقد داخل هذه الأقبية لتخرج من الطرف الآخر عبر المدخنة أو الفحل، وهذا ما يؤدي إلى رفع درجة حرارة هذه المصطبة بشكل كبير، وتستخدم في مرحلة التعرق التي كانت تعد أولى مراحل الاستحمام بالحمام العام. منصور عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب، ص ٤٤٢.

يقع قميم الحمام في مواجهة كل من الضلع الجنوبي والضلع الشرقي للحمام شكل (٥)، والدخول إليه كان من خلال باب خاص به بالطرف الجنوبي من الواجهة الغربية، ونلاحظ أن مساحة القميم كانت قديماً متسعة لدرجة أنها كانت تقارب إجمالي مساحة الحمام نفسه، وهو أمر شاع في الحمامات القديمة بشكل عام لاحتواء القميم على العديد من الملاحق الخدمية التي تعمل على تشغيل الحمام^(٣٧)، وقد اندثرت جميع أجزاء القميم القديمة في الوقت الحالي وحلت محلها مبان حديثة، وذلك لعدم الحاجة إلى ملاحق القميم وكذلك العمال الذين يقومون بتشغيله^(٣٨) بعد التطور الذي طرأ على الحياة الحديثة، فقد تم الاستعاضة عن ذلك كله بحجرة صغيرة تحتوي بداخلها على آلة التسخين التي تعمل بالمازوت أو الكهرباء، ويتم التوصل لهذه الحجرة في الوقت الحالي من خلال الباب الواقع بالإيوان الشرقي من البراني.

مصادر إمداد الحمام بالمياه:

تعتبر المياه هي العامل الرئيسي الذي يعتمد عليه الحمام في استمرارية عمله، وبالتالي فقد اعتمد الحمام على أكثر من مصدر لإمداده بالمياه، ويتمثل المصدر الرئيسي له في شبكة المياه الخاصة بالمدينة، حيث تميزت مدينة حمص منذ القدم

^(٣٧) المستوقد أو القميم هو القسم الخارجي من الحمام وليس له علاقة بأقسام الحمام الداخلية، وتكون مساحته متسعة لاحتوائه على العديد من الملاحق الخدمية التي تستخدم في عملية التشغيل، ويأتي على رأس هذه الملاحق حجرة المستوقد وهي أقرب أقسام القميم قرباً من الحمام، وتكون خلف القسم الجواني مباشرة، ومن خلالها يتم إشعال النار من جانب الوقاد، وهذه الحجرة يكون مستواها منخفض حيث يعلق أعلاها الدست الذي من خلاله يتم تغذية الحمام بالماء الساخن، ومن ملاحق القميم أيضاً مخازن الوقود ومناشر الزبل، حيث يقوم جامع الوقود بتجميعه من الأحياء المجاورة وينشرها في مناشر الزبل بالقميم حتى تمام جفافها ثم يتم تخزينها في مخازن تخصص لذلك، ويتم استخدامها بعد ذلك كوقود للحمام، ومن محتويات القميم أيضاً حجرة الساقية التي من خلالها يتم تغذية الحمام بالماء، وهناك الإسطبل المخصص للحيوانات التي تدير الساقية، وهناك مسكن القممي وغير ذلك. القوصوني، رسالة في الكلام على الحمام، ص ١١؛ الأنطاكي، التحفة البكرية، ص ٣؛ المناوي، النزهة الزهية، ص ٦١.

^(٣٨) مثلما يكون بداخل الحمام عدد من العمال يسهرون على خدمة المستحمين مثل المعلم والناطور والتبع والقيم وغيرهم، فهناك عدد من العمال أيضاً يرتبط عملهم بإدارة القميم وملحقاته، ومن ذلك القممي أو الوقاد الذي يقوم بإشعال النار بحجرة المستوقد أسفل الدست لتسخينه، وهناك أيضاً الزبال أو جامع الوقود الذي يقوم بجمع القمامة من الأحياء المجاورة لاستخدامها كوقود للحمام، وكذلك السواق الذي يقوم بإدارة الساقية ومتابعة الحيوانات التي تديرها. محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ١٨٥؛ سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، ص ٢٦؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص ٢٤٧؛ محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج ١، ص ١٦٣.

مثلها في ذلك مثل الكثير من المدن الشامية^(٣٩) بتزويدها بشبكة لنقل المياه لجميع أجزاءها^(٤٠)، وهذه الشبكة عبارة عن مجموعة من الأبنية الفخارية تنتشر بداخل المدينة لتصل إلى المنازل والبساتين والمنشآت المائية التي يأتي على رأسها الأسبلة والحمامات، وتتصل هذه الأبنية جميعها بقنوات أخرى رئيسية تكون أكثر اتساعاً، وتنتهي هذه القنوات إلى قناة رئيسية عند المنبع أو مصدر المياه.

وكانت شبكة المياه الخاصة بمدينة حمص تعتمد على الساقية التي كانت تأتي بالمياه من بحيرة قطنية^(٤١) ثم تقوم بتوزيعها على القنوات الفخارية التي تسير إما في باطن الأرض أو خارجها، ومن هذه القنوات تتوزع الأبنية الفخارية الصغيرة لتنتشر داخل المدينة في الدروب والحارات المختلفة بحيث يختص كل منزل أو سبيل أو حمام أو بستان أو غير ذلك بقناة تعمل على إمداده بالمياه^(٤٢)، وعلاوة على الساقية التي تجلب المياه من بحيرة قطنية كان نهر العاصي^(٤٣) أيضاً أحد أهم مصادر المياه التي اعتمدت عليها شبكة المدينة.

وإذا كانت شبكة المياه الخاصة بالمدينة هي المصدر الرئيسي لإمداد الحمام بالمياه، فقد كان هناك مصدر آخر ولكن الحمام كان يعتمد عليه بشكل ثانوي لأنه أكثر كلفة من المصدر الأول، ويتمثل هذا المصدر في بئر الماء المعين الذي كان الحمام مزوداً به، وكان موقعه بحجرة الساقية التي كانت ضمن محتويات القميم، وكانت هناك ساقية مركبة على هذا البئر تديرها الدواب لرفع الماء من أسفل، وكان الاعتماد على هذا البئر في إمداد الحمام بالمياه مقصوراً على وقت تعطل المصدر الأول حيث يتم تشغيل الساقية مؤقتاً حتى لا يتعطل الحمام.

^(٣٩) تميزت الكثير من المدن الشامية بتزويدها بشبكة مياه تتمثل وظيفتها في نقل المياه من المصدر وتوزيعها على الأجزاء المختلفة من المدينة بما في ذلك الدور والقصور والبساتين والحمامات والأسبلة وغيرها، وشبكة المياه هذه تكون عبارة عن شرايين متعددة من الأقسام الفخارية تنتشر في الشوارع والحارات وحتى الأبنية وداخل الجدران، وتتجمع هذه الشرايين جميعها عند القناة الرئيسية التي تنقل المياه من المصدر الرئيسي، ومن ذلك مدينة دمشق التي كانت شبكتها تنقل المياه إليها من نهر بردي، وهناك أيضاً مدينة حلب التي كانت المياه تنقل إليها من قناة حيلان ونهر قويق. هانس جاوبه & أوجين فيرت، حلب، ص ٤٥٩؛ عبد الرحمن بن حمزة النعسان، سبل المياه في مدينة دمشق القديمة، ص ٥٦.

^(٤٠) عماد الدين الموصللي، ربوع محافظة حمص، ص ٢٣٧.

^(٤١) تعد هذه البحيرة من المعالم القديمة لمدينة حمص حيث يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وكانت قديماً تعرف باسم بحيرة قادش أو قدس. أيوب سعدية، حمص أم الحجارا السود، ص ٣٥.

^(٤٢) محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهرأوي، حمص، ج ١، ص ٣٩، ٦١.

^(٤٣) يعد نهر العاصي من الموارد الأساسية التي كانت تستقي منها حمص، وهو يعتبر الأهم في القطر العربي السوري بعد نهر الفرات. أيوب سعدية، حمص أم الحجارا السود، ص ٢٩.

اعتمد حمام العثماني على وسيلتين أساسيتين لتسخين الوحدات الداخلية له في قسمي الوسطاني والجواني، الوسيلة الأولى تتمثل في المياه الساخنة التي يتم توزيعها من الدست على وحدات الحمام من الداخل، حيث يؤدي سريان المياه الساخنة في الأفنية الفخارية داخل الجدران إلى رفع درجة حرارة الحمام من الداخل وذلك في قسمي الوسطاني والجواني على حد سواء.

أما عن الوسيلة الثانية التي استخدمت في تسخين الحمام فهي طريقة التسخين الجاف، وهي تلك الوسيلة التي اعتمدت عليها الحمامات الشامية بشكل عام، والتي تعد استمراراً لنظام التسخين في الحمامات القديمة ذات الأصول اليونانية والرومانية، مع العلم أن استخدام هذه الوسيلة في التسخين يكون قاصراً على القسم الجواني فقط، ولا علاقة لها بتسخين القسم الوسطاني الذي يعتمد فقط على المياه الساخنة في التسخين، ويقصد بهذه الطريقة عمل ممرات للهواء الساخن المنبعث من المستوقد أسفل أرضية الجواني، ويتم ذلك من خلال مد أفنية فخارية أسفل أرضية الجواني بحيث يتصل طرفها الأول بحجرة المستوقد فتسير السنة اللهب داخلها ويمتد سريانها حتى تخرج من الطرف الثاني الذي يتصل بدوره بالفحل أو مدخنة الحمام^(٤٤) (الوحدة (١٨)، ١٩)، بحيث يسمح بخروج الأدخنة وألسنة اللهب المنبعثة من المستوقد خارج فضاء الحمام شكل(٦).

ونلاحظ أن الاعتماد على هذه الوسيلة في التسخين كان له تأثيره الواضح على تخطيط الحمام، وأول مظاهر هذا التأثير يمكن ملاحظتها على موقع المدخنة، فمن المعتاد أن تكون المدخنة أعلى حجرة المستوقد مباشرة لتسمح بخروج السنة اللهب والأدخنة الزائدة إلى الخارج كما هو الحال في الحمامات المصرية على سبيل المثال، والتي تعتمد في تسخينها على المياه الساخنة فقط دون الاعتماد على وسيلة التسخين الجاف، وبالتالي نلاحظ أن موقع المدخنة في هذه الحمامات يكون ضمن محتويات القميم أعلى حجرة المستوقد مباشرة، ولكن إذا نظرنا إلى حمام العثماني فنتيجة إلى تعمد الاستفادة من الهواء الساخن المنبعث من المستوقد لتسخين الجواني من خلال تمريره أسفل أرضيته، فقد تم نقل موقع المدخنة لتصبح في المساحة الفاصلة بين الجواني والوسطاني الثاني، بحيث يمر الهواء الساخن أولاً أسفل أرضية الجواني قبل خروجه خارج فضاء الحمام شكل(٦).

(٤٤) لا زال الفحل أو مدخنة حمام العثماني باقية حتى وقتنا الحالي، بحيث يمكن رؤيتها من أعلى سطح الحمام، حيث تقع في المساحة الفاصلة بين الجواني والوسطاني الثاني، وهي عبارة عن بدن مربع مبني من الحجر يستند كلما اتجهنا نحو الأعلى، ونلاحظ أنها مفرغة من الداخل لتسمح بخروج السنة اللهب والأدخنة المنبعثة من المستوقد بعد مرورها أسفل أرضية الجواني الخاص بالحمام.

ومن مظاهر تأثير استخدام وسيلة التسخين الجاف على الحمام أيضا أنه تم الاستعاضة عن فوارة الماء الساخن التي اعتدنا على وجودها داخل دورقاعة الجواني كما هو الحال في الحمامات المصرية أيضا بمصطبة مرتفعة تعرف باسم مصطبة بيت النار، وهو ما تميزت به الحمامات الشامية بشكل عام، فبدلا من الاعتماد على الماء الساخن في التعرق، يتم الاعتماد على هذه المصطبة التي تسري أسفلها السنة اللهب مما يؤدي إلى رفع درجة حرارتها بشكل ملحوظ، ويستلقي عليها المستحمين مما يؤدي إلى سرعة تعرقهم تمهيدا لمراحل التدليك والتكسيس وغير ذلك.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد ظهر تأثير استخدام وسيلة التسخين الجاف بشكل واضح على تخطيط القسم الوسطاني، فمن المعتاد أن الوسطاني أو الحجره الدافئة في الحمامات العامة بشكل عام لا يتعدى كيانها المعماري مجرد حجره صغيرة تمثل مرحلة انتقالية بين قسمي الحمام الخارجي والداخلي، أما في ذلك الحمام وجدنا أن القسم الوسطاني له كيان معماري واضح يكاد يفوق في تكوينه واتساعه قسمي الحمام الخارجي والداخلي، ومرجع ذلك أن استخدام وسيلة التسخين الجاف في الجواني تجعل حرارته مرتفعة بشكل مبالغ فيه، مما يجعل الكثير من المستحمين يعدلون عن دخوله خاصة في فصل الصيف حيث أن درجة الحرارة تكون مرتفعة، ولا يكون هناك داعي لدخول الجواني، وهنا يظهر الدور الرئيسي للوسطاني في أداء مراحل الاستحمام، فيقوم المعمار بتوسيع كيانه المعماري، وتقسيمه إلى قسم أول وثاني وكأنه يحقق للمستحمين المراحل الثلاث التي تعودوا عليها داخل الحمام دون اضطرارهم إلى دخول القسم الجواني، ولا ينبغي أن نغفل أن الجواني تعود له أهميته في فصل الشتاء حيث يستحب دخوله للتنعم بحرارته في وقت تنخفض فيه درجات الحرارة بشكل كبير خارج الحمام.

تأثير أحداث الثورة السورية على الحمام:

منذ اندلاع الثورة السورية في أعقاب عام ٢٠١١م، تتعرض الكثير من المدن السورية لأعمال القذف والتخريب والتدمير، وللأسف الشديد فإن أعمال التدمير لحقت بما تحويه هذه المدن من كنوز ومنشآت أثرية وتراثية تخلد تاريخها وتشهد على عظمة الحضارات التي تعاقبت عليها.

وتعد مدينة حمص واحدة من المدن التي تركزت فيها أعمال التخريب والتدمير والتي طالت الكثير من منشآتها الأثرية والتراثية، وكان حمام العثماني أحد المنشآت الأثرية التي تأثرت إلى حد كبير بمثل هذه الأعمال، ويأتي على رأس مظاهر التأثير التي لحقت بهذا الحمام قبته المرتفعة التي تغطي دورقاعة الجواني، حيث أصيبت هذه القبة بقذيفة أدت إلى إحداث فجوة كبيرة ببطنها، وأثرت بطبيعة الحال على ثباتها مما أدى إلى تشققها وجعلها أكثر عرضة للتشقق والسقوط لوحه (٢٠).

ولم تكن قبة البراني هي الوحيدة التي تأثرت من جراء أعمال القذف والتخريب، وإنما امتد التأثير إلى باقي أجزاء الحمام التي بدأت التشققات تظهر عليها بشكل ملحوظ، مما ينبئ بخسارة المدينة لأحد أثارها الهامة، وعليه ينبغي على المختصين والمسؤولين أن يبذلوا قصارى جهدهم للحد من مثل هذه الأعمال، وسرعة إجراء الترميمات اللازمة لهذه الآثار ليس في حمص وحدها، وإنما في كافة المدن السورية للحفاظ على هذا التراث الخالد.

وفي النهاية فإن هذه الدراسة تعد الأولى من نوعها لهذا الحمام، والتي خصصت لدراسته من الناحية الأثرية والمعمارية، وتأتي أهميتها في أنها تعد دراسة توثيقية للحمام ومشتملاته، خاصة بعدما يواجه هذا الأثر من تعديات في ظل الأحداث الجارية في سوريا، وقد خلصت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج تتمثل في الآتي:

- رجحت الدراسة أن التاريخ الوارد باللوحة التأسيسية المثبتة أعلى المدخل الرئيسي للحمام هو تاريخ إنشاء وليس تجديد.

- تنوع المواد الخام التي استخدمت في عمارة الحمام فيما بين الأحجار البازلتية السوداء التي تميزت بها مدينة حمص بشكل عام لتوفر محاجرها بها، وذلك في واجهة الحمام وواجهات بعض العقود في الداخل، وهناك أيضا الحجر الجيري الذي استخدم في عمارة أساسات الحمام، وهناك الآجر الذي استخدم في عمارة الأسقف والقبوات، وأيضا الرخام الذي استخدم في عمل الزخارف والأرضيات والأجران وغير ذلك.

- اعتمد الحمام في تخطيطه الداخلي على التخطيط المكون من قاعة مستطيلة مغطاة بقبو نصف برميلي، كما هو الحال في الوسطاني الأول والثاني وكذلك الجواني، في حين اعتمد البراني على التخطيط المتعامد المكون من دورقاعة مركزية يتعامد عليها أربعة إيوانات.

- اعتمد الحمام على أكثر من مصدر لإمداده بالمياه، فهناك المصدر الرئيسي المستمد من شبكة المياه بمدينة حمص، وهناك مصدر ثانوي يعتمد على بئر الماء المعين لتزويد الحمام بالماء وقت الضرورة من خلال الساقية التي تديرها الدواب.

- استخدمت أكثر من وسيلة لتسخين الحمام من الداخل، حيث تم الاعتماد على الماء الساخن كما هو متبع في الحمامات العامة، بالإضافة إلى استخدام وسيلة التسخين الجاف التي تعتمد على عمل ممرات للهواء الساخن أسفل أرضية الجواني وهو استمرار للأساليب القديمة المتبعة في تسخين الحمامات اليونانية والرومانية.

- كان لاستخدام وسيلة التسخين الجاف في الحمام تأثير واضح على بعض أجزاءه متمثلا في نقل موضع المدخنة من أعلى حجرة المستوقد بالقميم لتصبح في المساحة الفاصلة بين الجواني والوسطاني الثاني، علاوة على استخدام مصطبة بيت النار بالجواني للتعرق بدلا من فسقية الماء الساخن، هذا بالإضافة إلى اتساع الكيان المعماري للوسطاني ليصبح مكونا من قسمين بواقع وسطاني أول وثاني نتيجة الاستغناء عن دخول الجواني في فصل الصيف.

مراجع البحث:

أولا المصادر:

- الأنطاكي (داوود بن عمر الأنطاكي ت ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م)، التحفة البكرية في أحكام الاستحمام الكلية والجزئية، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ ٢٠١٧٣ ل عربي، ميكروفيلم ٢٣٩٨١.
- الحسيني(الحافظ أبي المحاسن محمد بن الحسن الحسيني ت١٧٦٥هـ/١٣٦٤م)، كتاب الإمام بأداب دخول الحمام وما يتعلق به من الأحكام، تحقيق نور الدين بن شكري، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٧هـ.
- الحموي(الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط١، قام بتصحيحه وترتيبه محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، ١٩٠٦م.
- الطبري(أبي جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩١٨م.
- القوصوني (شمس الدين محمد بن محمد بن بدر الدين القوصوني ت ٩٣١هـ/١٥٢٥م)، رسالة في الكلام على الحمام، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ ١٢١٥ طب عربي، ميكروفيلم ٣١٢٩٧.
- ابن كثير(الإمام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، ط٦، مكتبة العارف، بيروت، ١٩٨٥م.
- المكي(محمد المكي بن السيد بن الحاج مكي بن الخانقاة)، تاريخ حمص من سنة ١١٠٠هـ-١٦٨٨م/١١٣٥-١٧٢٢م، حققه وقدم له عمر نجيب العمر، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٨٧م.
- المناوي(الشيخ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي ت ١٠٣١هـ/١٦٢٢م)، كتاب النزاهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبد الحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م.
- المنذري(الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط أحاديثه وعلق عليه محمد خليل هراس، مكتبة الجمهورية العربية، ١٩٦٩م.
- ثانيا المراجع العربية:**
- أحمد زكريا وصفي، جولة أثرية في البلاد الشامية، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٩٨٤م.
- أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين، دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس الهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
- أيوب سعدي، حمص أم الحجارة السود، دمشق، ١٩٩٢م.
- سامي أحمد عبد الحليم، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت عصر المماليك في القاهرة، ط١، القاهرة، ١٩٨٤م.
- سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.
- عادل زيادة، الحمامات الباقية بمدينة دمشق في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.
- عبد الرحمن بن حمزة النعسان، سبل المياه في مدينة دمشق القديمة، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى فرع الدراسات العربية، دمشق، ٢٠٠٨م.

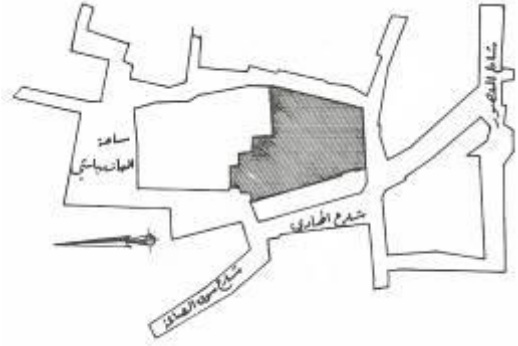
- عماد الدين الموصللي، ربوع محافظة حمص (بين الماضي والحاضر والمستقبل)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م.
- محمد زيود، «النشاط التجاري في حلب خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد»، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص تحت عنوان حلب وطريق الحرير، مج ٤٣، ١٩٩٩م، ص ١٤٥-١٥٤.
- محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.
- محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، حققه وقدم له ظافر القاسمي، ط ١، جزءان، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، ١٩٨٨م.
- محمد كرد علي، خطط الشام، مطبعة الترقى بدمشق، ١٩٢٦م.
- محمود عمر السباعي & نعيم سليم الزهراوي، حمص - دراسة وثائقية في الحقبة من ١٢٥٦-١٣٣٧هـ، ١٨٤٠-١٩١٨م من خروج إبراهيم باشا وحتى خروج الأتراك العثمانيين، جزءان، ط ١، حمص، ١٩٩٢م.
- منصور عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر المملوكي وحتى نهاية العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
- منير الخوري أسعد، تاريخ حمص، مطرانية حمص الأرثوذكسية، قسمان، حمص، ١٩٨٤م.
- منير كيال، الحمامات الدمشقية، ط ٢، مطابع ابن خلدون، ١٩٨٦م.
- هانس جاوية & أوجين فيرت، حلب، دراسات تاريخية وجغرافية حول البنية العمرانية والتركيبية الاجتماعية والحركة الاقتصادية لأحد مراكز التجارة الدولية في الشرق الأدنى، تعريب صخر العلي، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، ٢٠٠٧م.

ثالثا المراجع الأجنبية:

- Abd al-Mohsen el.Khashab, Ptolemaic and Roman baths of Kom El.ahmar, Imprimie de l'Institut Francais d'Archeologie, Cairo, 1979.
- Carole Hillenbrand, The Crusades Islamic perspectives, Edinburgh University press, 1999.
- Martin Briggs, Mohammadan architecture in Egypt and Palestine, Oxford at the clarendon press, 1924.
- Michel Ecohard & Claude Lecoer, Les Bains de Damas, Monographies architecturales, Institut Francais de Damas, Beyouth, 1942.



١٣١٥

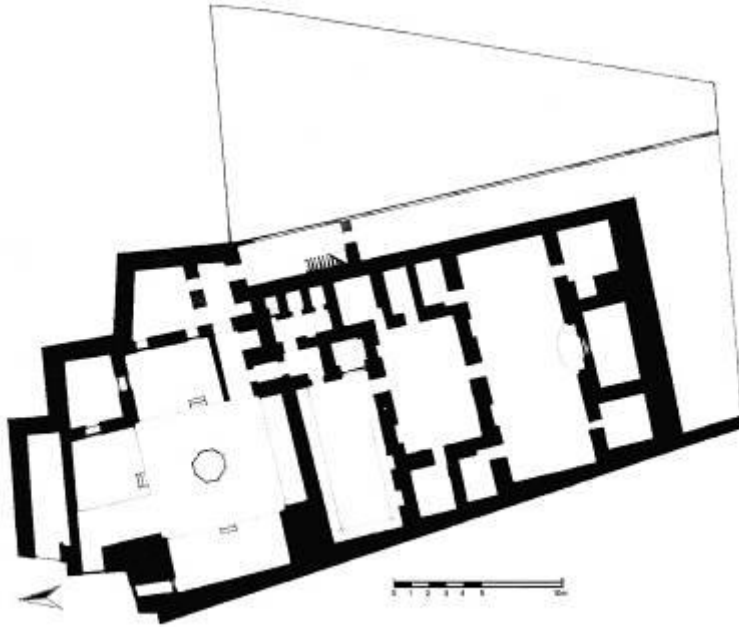


شكل (١): خريطة توضح موقع حمام العثماني بمدينة حمص عن دائرة آثار حمص

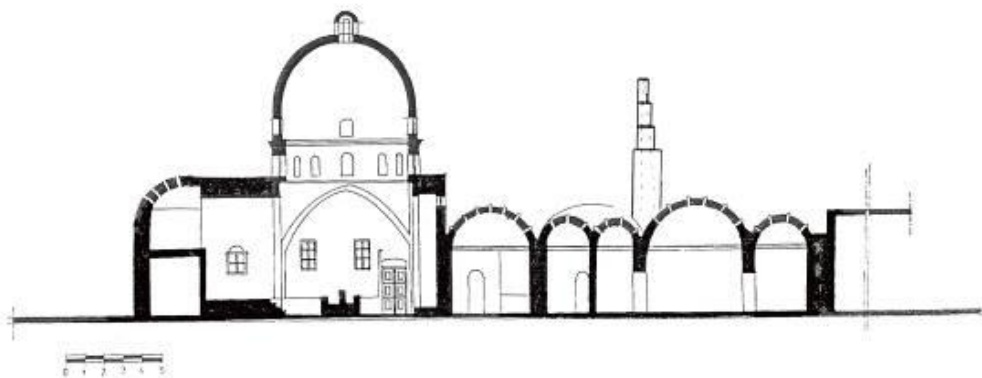
شكل (٢): تفريغ للنقش التأسيسي أعلى المدخل الرئيسي للحمام. عمل الباحث

١	أ	١	أ	١	أ	٤٠	م	٢	ب
٧٠٠	ذ	٥	هـ	٢	ب	١٠	ي	٩	ط
٤٠	م	١٠	ي	٧٠	ع	٥٠	ن	١	أ
٢٠٠	ر	٦	و	٨	ح	٣٠	ل	١	أ
٣٠	ل	٦	و	٣٠	ل	١	أ	٦	و
				٥٠	ن	١	أ	٤	د
١٣١٥	المجموع								

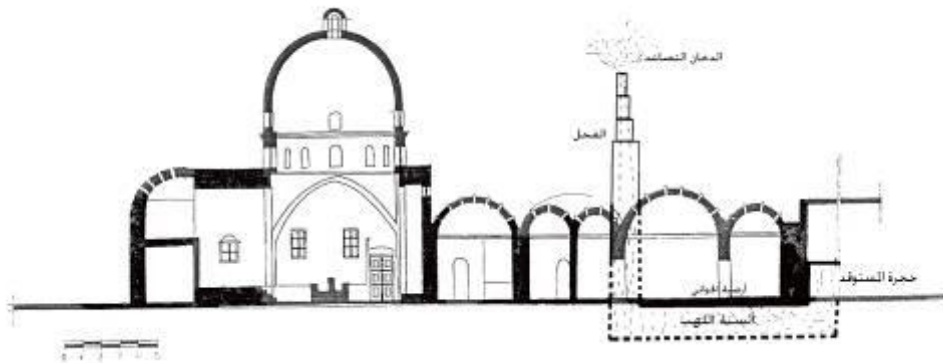
شكل (٣): جدول يوضح حساب تاريخ الحمام الوارد بالنقش التأسيسي أعلى المدخل بطريقة حساب الحمل عمل الباحث



شكل (٤) : المسقط الأفقي للحمام
عن دائرة آثار حمص



شكل (٥) : قطاع رأسي في الحمام
عن دائرة آثار حمص



شكل (٦): شكل يوضح طريقة تسخين أرضية الجواني باستخدام الممرات الهوائية (التسخين الجاف) عن دائرة آثار حمص بإضافات من الباحث



لوحة (٢): تفصيل للنقش التأسيسي أعلى المدخل تصوير الباحث



لوحة (١): مدخل الحمام بالطرف الشمالي من الواجهة الغربية تصوير الباحث



لوحة (٤) : الفسقية التي تتوسط دورقاعة البراني
تصوير الباحث



لوحة (٣) : منظر عام لبراني الحمام
تصوير الباحث



لوحة (٦) : القبة التي تغطي دورقاعة
البراني من الخارج
تصوير الباحث



لوحة (٥) : القبة التي تغطي دورقاعة البراني من الداخل
تصوير الباحث



لوحة (٨) : الباب الواصل بين قاعتي الوسطاني الأول والثاني وطريقة غلقه تلقائيا. تصوير الباحث

لوحة (٧) : وسطاني الحمام - قاعة الوسطاني الأول
تصوير الباحث



لوحة (٩) : وسطاني الحمام - قاعة الوسطاني الثاني والأبواب الواصلة للخلوات. تصوير الباحث

لوحة (١٠) : وسطاني الحمام - سقف قاعة الوسطاني الثاني. تصوير الباحث



لوحة (١٢): وسطاني الحمام – سقف أحد
الخلوات الفرعية من الداخل بالوسطاني الثاني
تصوير الباحث



لوحة (١١): وسطاني الحمام – أحد الخلوات الفرعية
من الداخل بالوسطاني الثاني
تصوير الباحث



لوحة (١٤): منظر عام لجواني الحمام
تصوير الباحث



لوحة (١٣): الباب الواصل بين الوسطاني الثاني
والجواني
تصوير الباحث



لوحة (١٦) : مصطبة بيت النار بالجدار الجنوبي من الجواني. تصوير الباحث



لوحة (١٥) : الأجران الرخامية داخل الجواني تصوير الباحث



لوحة (١٨) : منظر عام لسقف الحمام تصوير الباحث



لوحة (١٧) : أحد الخلوات الفرعية بالجواني تصوير الباحث



لوحة (١٩): المدخنة أو الفحل
تصوير الباحث



لوحة (٢٠): تأثير القذيفة التي أصابت قبة البراني وأثرت
على مبنى الحمام بأحداث الثورة السورية. عن:
<http://apsa2011.com/apsanew>

Hammam al-Othmani in Homs Architectural archaeological study

Dr.Mansour Mohammed Abd El.Razek*.

Abstract:

This paper aims to study one of the survival Hammams in the city of Homs from Ottoman period. This study is considered to be the first one that allocated to study this hammam from architectural and archaeological sides. It also considered a complete documental study for the architectural units and elements of the hammam which are still surviving in a good statue. The study includes a discussion for dating the hammam. Also it includes a description for the units and elements of the hammam. The study refers to the different sources which supplied the hammam by water. The paper studies also the different ways which are used in heating the inside units. The study sheds the light on the effect of the Syrian revolution on the Hammam and urged to restore it. The study includes a number of illustration figures and photographic plates which are photographed by author, and published in this paper for the first time.

* Lecturer of Islamic archaeology at Faculty of archaeology, Cairo University, Islamic Department mansour.arch22@yahoo.com